إقْتِباسُ مَعَانِي القُرْآنِ الكَرِيمِ في الأَدْعِيَةِ المَأثُورَةِ عَنْ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام

أ.م.د. علي خياط

الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية - مشهد المقدسة

فحوى البحث

يمثل الدعاء الجزء الأكثر إشراقا وتعالياً من حياة الرسل و أوصيائهم عليهم السلام. فالأدعية الموروثة عنهم، تمثل في جوهرها القيم والمعاني التي جاء بها القرآن العظيم، وميراثا يستحق اليوم غاية الاهتمام والتأمل، فهي تنطوي على أسمى وأرق و أفصح التعاليم واكثرها قدرة على التوغل في أعماق النفس الانسانية وخلق التغيير فيها. وعلى هذا بنى أهل البيت عليهم السلام معاني أدعيتهم المأثورة عنهم في كتب مستقلة أو في نصوص ترويها الأخبار والتي يرى فيها كاتب البحث أفكاراً تنبثق من روح القرآن الكريم. لتشكل الأسَّ الذي تقوم عليه منظومتهم الفكرية والنظرية. كذلك فهي (الأدعية) تعدّ الاساس لجميع التحليلات والاوصاف والوصايا باسلوب خاص متميز.

المقدمة:

على الرغم من ان الدعاء والتوسل، والتواصل مع الله لا يختص بدين دون آخر، الا اننا لا نجد ديناً كالاسلام قد اختص الدعاء والمناجاة ببالغ الاهمية، فالدعاء والمناجاة يشكلان جزء مميزاً وجانباً سامياً متعالياً من السيرة الوضاءة للرسول صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام، وهما المرآة التي تعكس جمال وصالهم برب الوجود وجلال العروة بين العابد والمعبود، الوصال الذي يشكل الجانب الابهى من حياتهم.

يقول الشهيد المطهري: ((ان من اعظم وانفس الكنوز التي نمتلكها في ما ورثناه من ثقافة اهل البيت عليهم السلام هي ما نملكه من الادعية، واقسم بالله ان هذه الكنوز هي كنوز المعرفة.. .))[1].

مثال العبودية والمخزون الثقافي:

فضلا عن ان الادعية المأثورة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام تشكل لنا مثالاً نحتذي به، فهي ايضاً تشكل موروثاً يستحق، اكثر من اي وقت مضى، الاهتمام والتأمل والتدبر ((لانها تنطوي على اسمى، وأرق، وأفصح، وأبلغ التعاليم نفوذاً وتأثيراً))[2] ويرى المتبحرون في المعارف الالهية ان كل دعاء من ادعيتهم الموروثة، يشكل بمفرده مقاماً من مقاماتهم الانشائية والعلمية[3]، ففي مكنونات هذه الادعية نجد لطائف الشوق والعرفان، ومقامات الذوق السنية ورقائق الشهود القدسية التي يعتد بها وهذا ما لا نراه ولا نجده في غير الدعاء من الروايات الواردة عنهم، لان الروايات تخاطب الانسان بما يتناسب مع عقولهم، وافهامهم، وادراكهم، في حين ان الادعية هي نجوي مع الله ذي الجمال و الجلال والحسن الاتم، هي اسرار للمعشوق الازلي الحقيقي، لذلك فالائمة عليهم السلام اودعوا في ادعيتهم كل ما استسروه في سويداء افئدتهم وما كانوا قد اكتنهوه من رياض العشق السرمدي ليجري معناه سحراً عبر انديا ح البيان في ثنايا لغة قدسية لاهوتية وكأنها بيت معمور بالفاظ من نور.

(١) مطهري، مرتضي، آزادي معنوي، ص١٠٨.

(٢) حكيمي، محمد رضا، حماسه غدير، ص٢٩٨.

(٣) حسن زاده آملي، حسن رساله نور علي نور، ص٢١.

بناء على ما تقدم نجد من الادعية التي وصلت الينا عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ميراثاً معنوياً قيماً ومخزوناً ثقافياً عزيزاً نستطيع اعتباره مدرسة عظيمة ثرية ومعيناً غنياً بالتعاليم الجوهرية في مجال العقائد، والعرفان، والاخلاق، والحقوق، والمجتمع، والحكم، وافضل اساليب الحياة، وثقافة التطهر و التحسن[٤] ((لذلك يمكن في الكثير من الاحيان تنوير المجتمع الديني من خلال الادعية الصحيحة بكافة معارف الاسلام بما فيها من سمو، و ملاحم وشجاعة...))[٥].

((الدعاء)) في ثقافة اهل البيت عليهم السلام ليس مجرد طلب جاف وحسب، بل ليس عبادة عادية او مجرد دعاء واستغفار، وانما الدعاء في هذه الثقافة باطن القرآن، وكما يقول الامام الخميني قدس سره نقلاً عن استاذه الذي كان يطلق على الادعية اسم ((القرآن الصاعد))[٦] اي انه كان يعتبرها استلهاما من القرآن والوحي الالهي، وكلاماً يصعد عبر السنتهم عليهم السلام، واولياء الله المقربين الى بحبوحة الملكوت.

فالائمة ونظراً الى اسئناسهم الخاص بالقرآن، نراهم يقتبسون الافكار والمضامين والمواضيع منه لتخصب بعد ذلك وتنمو في الظل ثقافة القرآن. في هذه الادعية حسب تعبير الامام الخميني قدس سره نجد انها ((من اعظم النعم على العباد الرحمة الواسعة..))[٧]، ومن خلال الدعاء انتشرت المعارف القرآنية، واستطاع الائمة عليهم السلام في عصور الانظمة التي اضطهدتهم ان ينشروا هذه المعارف

(٤) المدرسي محمد تقي، الدعاء معراج الروح ومنهاج الحياة، ص٧. قبانجي، سيد صدر الدين، في رحاب دعاء ابي حمزة الثمالي، ص٢٥ -٢٦. نصر الله، حسن عباس، مقالة ((البعد الانساني في الصحيفة السجادية)) في مجموعة مقالات ((الابعاد الانسانية والحضارية في الصحيفة السجادية)) ص٨٨/ . قيومي جواد، ادعية الامام زين العابدين، ص٢١/ . للاطلاع كثر راجعوا: حسيني جلالي سيد محمد رضا، جهاد الامام السجاد، ص ١٨٨-١٩٣.

(٥) حكيمي، محمد رضا، حماسه، غدير، ص٢٩٩.

(٦) امام خميني، اية الله روح الله، صحيفة نور، مجلد ٢٠، ص١٥٧.

(٧) امام خميني، اية الله روح الله، تفسير دعاي سحر، ص٣.

ويوصلوهـــــا الى الناس. وسنخوض في بحثنا هذا عبر محورين، ومن خلال دراسة كل منهما سنورد بعض الامثلة المختصرة.

١. الملامح العامة للدعاء:

النقطة العامة والميزة الخاصة التي تميز ادعية ائمة اهل البيت عليهم السلام تتجلي في كون هذه الادعية استلهاماً من القرآن الكريم بين دفتيه. فالقرآن هو منبـع لسلسلة من الـرؤى العامة في فكر الائمة عليهم السلام وبالتالي فهو الخلفية والبنية الاساسية لمنظومتهم الفكرية والنظرية، كما ان جميع التحليلات، والاوصاف والوصايا في هذه الادعية هي مستقاة من القرآن ومكونة على اساسه، وهي عبارة عن:

التقييم:

ان ادراك ومعرفة المسائل ذات الدور الجوهري والاكثر اهمية في حياة الانسان، ويلعب دوراً هاماً واساسياً في توجه الانسان وتعيين اسلوب حياته، ولعل منشأ اكثر الاخطاء والانحرافات يكمن في عدم القدرة على ادراك وفهم الضروريات والاولويات. فعندما نضع الدين معياراً لتعيين الاولويات ونراعي الرؤية الدينية في عملية التقييم تلك، فلا محيص لنا عند ذلك من الرجوع الى القرآن والنصوص الدينية الاخرى.

فالقرآن الكريم وعلى الرغم من تنوع تعابيره وتنوع الاطر الهادفة فيه الى هداية الانسـان من قبيل التشريع، والقصص، والانـذار، والتبشير والبيـــان المعارف والتعاليم،... فاننا نجده يؤكد دائماً على محـاور ثلاثة، تلك هي الهـدف والجوهر في القرآن الكريم بينما القضايا الاخرى ماهي الا مقدمات او نتائج لها المحور الاول: يتمثل في حضور الله في الوجود (التوحيد الافعالي)، اذ قل ما توجد آية لا تتحدث بصورة مباشرة عن حضور الله في الوجود واثارة احساس الانسان ازاء هذا الامر. فالرؤية القرآنية تقول ان الله خالق وفي وقت ذاتـه مرب ﴿رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [سورة العلق: ١] ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: ٦٤] يدا الاله مبسوطتان بلا حدود، وهذا اطلاق لا مجال لتصور التقييد فيه. كذلك لم ينته الله من العالم واعمال الاثر فيه بل هو جل و علا ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[سورة الرحمن: ٢٩] اي

انه سبحانه كل يوم في شأن من شؤون تدبير العالم، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الاعراف: ٥٤]. ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة غافر: ٦٢][٨]. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة التكوير: ٢٩][٩] وآيات اخرى.

فالقرآن الكريم ومن أجل تثبيت ربوبية الحق المطلقة، نجده يصف الله بهذا الوصف على امتداد النورانية، ولطالما عنونها بهذا الوصف، واننا نجد كلمة ((الرب)) في القرآن قد قارب ذكرها الالف مرة وذلك في نعت الباري تعالى. فالرؤية القرآنية تقول بان الانس والجن، والملائكة، والارض، والسماء، وكل العوالم والعالمين هم تحت ربوبية ذات قدس رب الارباب.

المحور الثاني: يتمثل بضرورة العبودية والتسليم والاذعان لله، وليس هذا في الواقع نتيجة مترتبة على ما سبق. هذا الموضوع قد تم التأكيد عليه من خلال تعابير عديدة في آيات القرآن الكريم ومنها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦]. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١٥]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٣١].

المحور الثالث: يتمثل في بيان وجوب اتقاء معصية الله ونهي النفس عن اتباع الهوى والشيطان، الامر الذي يعتبر اهم واخطر اسباب الخطأ وعلل الانحراف عن مسير العبدوية والتقوى، ولقد عبر القرآن عن ذلك احياناً بالنزعة الدنيوية وتعابير من قبيل: حب الدنيا، والاطمئنان الى الدنيا، والرضا بالدنيا وغير ذلك،

(٨) [سورة الانعام: ١٠٢].
(٩) [سورة الانسان: ٢٩].

واحياناً عبر عنها في اطار الدعوة الى الابتعاد عن خطوات الشيطان وموالاته، باعتباره المصداق الابرز للنزعة الدنيوية و اهم عوامل السقوط.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [سورة فاطر: ٥](١٠). ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [سورة النحل: ١٠٧]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ [سورة يونس: ٧]. ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾[سورة الانعام: ٧٠]. ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾[سورة الاعراف: ٥١]. ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[سورة البقرة: ١٦٨، ٢٠٨](١١). ﴿ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾[سورة النور: ٢١]. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾[سورة فصلت: ٣٦]. ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[سورة الاعراف: ٢٧]. ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[سورة الاعراف: ٣٠]. ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[سورة الانعام: ١٥٣].

فاذا ما تم توضيح هذا الكم من الايات المتعلقة بالمحاور الثلاثة المذكورة بالطريقة السليمة والمقدار المناسب، فسوف تظهر الاهمية والمكانة الخاصة التي تتمتع بها هذه المحاور، كما سيظهر بوضوح نظام التقييم القرآني ايضاً. فالائمة من اهل البيت عليهم السلام كانوا اول من حظي بهذه الرؤية القرآنية واستعملوها في تقييم الامور وتحديد الاولويات، وان كمية المواضيع المطروحة في الادعية حول هذه المحاور الثلاثة يشكل دليلاً على صحة هذا الرأي، اذ قل ما يوجد دعاء ليس فيه كلام عن حضور

(١٠) [سورة لقمان: ٣٣].
(١١) [سورة الانعام: ١٤٢].

الله جـــل جلاله، والائمة عليهم السلام هم ابرز مصاديق ((الصحو)) الذين عاينوا حقائق الشهود في كل ذرة من ذرات هذا العالم حيث ليس سوى الله، وبينوا هذه الرؤية في اجمل عرصات البيان اي في دوح المناجاة والدعاء. فهم عليهم السلام يدركون هذه الحقيقة القائلة انه ما من موجود مستقل بذاته، وان كل شيء ارتدى حلة الوجود انما هو في الواقع محض وجود رابط وصرف وجود المخلوق بقدرة الايجاد، ((ومن النادر في جميع الادعية العثور على مثال او نموذج يمنح ((السببية والتأثير (المؤثرية))) الى غير الاسماء والصفات الالهية، اي ان كافة الادعية ترى ان العلة التامة والمحضة لجميع الحوادث والحقائق والكثرات في هذا العالم هي جزء من النظام الربوبي، تبسط الارادة المطلقة لرب العالمين وتمنحها السريان والفـــاعلية))[١٢] ومن الامثلة البديعة السامية المنبثقة عن ينابيع العصمـــة ومعدن الطهارة، والمتجلببة بجلباب النور المضمخـــة بعبير التوحيد التي لا تعير المخلوق ادنى اهتمام او تلميح، نجد المناجاة الشعبانية، ودعاء ابي حمزة الثمالي ودعاء السحر. فالامام السجاد عليه السلام يولي الشعور بحضور الباري تعالى، والعناية الالهية، والفيض الإلهي المستمر كل الاهتمام، اذ يبحث عن الشعور في جميع الاحوال التي تنتاب الانسان من المصائب، والافراح، وكافة الحركات والسكنات. يقول الامام علي عليه السلام: ((وباسمائك التي ملات اركان كل شيء)) ويقول الامام السجاد عليه السلام في دعاء ابي حمزة الثمالي: ((وبيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي ونفعي وضري)) وعشرات لا بل ومئات العبارات من هذا القبيل. كذلك نَدَرَ ما نجد دعاء لم يؤكد مراراً وتكراراً على ان العبودية والتسليم هو الصراط المستقيم دون غيره، والشاهد في هذا الادعاء هو انه في الكثير من ادعية اهل البيت عليهم السلام كان هناك موضوع او طلب ما قد سبب النطق بالدعاء من قبل الامام عليه السلام، ولكن وقبل تلبية الطلب -على اهميته -نجد ان الدعاء قد سخر للحمد والتسبيح وتوحيد الله، فكأنَّ الطلب كان

(١٢) ممدوحي، حسن، شهود وشناخت، ج١، ص١٠٥.

مجرد ذريعة ليقف الامام مذعناً لربوبية الخالق ومسلماً لارادته ((ومستغرقاً في بحر توحيد حضرة الربوبية))[١٣] ومناجاتها.

ونقرأ تعقيباً للصلاة: ((لا اله الا الله الهاً واحداً ونحن له مسلمون لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين))[١٤] ((حسبنا الله ونعم الوكيل))[١٥] فهناك تأكيد كبير على الحقيقة التي تقول بان لا قدرة لاحد على حل مشاكل الانسان وازالتها سوى الله سبحانه وتعالى، وهذا ما نشهده في كافة انحاء الروضة القدسية المعروفة بالصحيفة السجادية للامام زين العابدين عليه السلام هذه الصحيفة التي تعتبر ادعيتها من اكثر مصادر الادعية المأثورة المنقولة عن بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فالامام السجاد عليه السلام يطرح آمالاً وطلبات متعددة ومتنوعة، ولايرى كاشفاً للضر ومخلصاً من النوائب والمشاكل الاجتماعية الا الخالق المتعالي جل جلاله، ولا يرى كذلك ملجأ وكهفاً يلوذ به الانسان عند النوائب والهموم والحاجة الا الله الحق المعبود. هذه الحقيقة نعاني منها في طوايا هذه الصحيفة وثنايا جملها ودرر الفاظها، وطالما وجدنا في بعض الادعية ذلك بصراحة ووضوح من قبل السجاد عليه السلام وها نحن نجده عليه السلام يقول: ((يا من تحل به عقد المكاره، ويا من يفثأ به حد الشدائد، ويا من يلتمس منه المخرج الى روح الفرج، ذلت لقدرتك، الصعاب، وتسببت بلطفك الاسباب، وجرى بقدرتك القضاء، ومضت على ارادتك الاشياء، فهي بمشيتك دون قولك مؤتمره، وبارادتك دون نهيك منزجرة، انت المدعو للمهمات، وانت المفزع في الملمات، لا يندفع منهما الا ما دفعت ولا ينكشف منهما الا ما كشفت وقد نزل بي يا رب ما قد تكادني ثقله، والم بي ما قد بهظني حمله، وبقدرتك اوردته علي، وبسلطانك وجهته الي فلا مصدر لما اوردت ولا صارف لما وجهت ولا فاتح لما اغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ميسر لما عسرت، ولا ناصر لمن خذلت))[١٦].

(١٣) نهاوندي، علي اكبر، وسيلة النجاة في شرح دعاء السمات، ص٢٨.

(١٤) القمي، عباس مفاتيح الجنان، التعقيبات المشتركة.

(١٥) المصدر نفسه، تعقيب صلاة الصبح.

(١٦) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاء ٧.

نشاهد في الكثير من الادعية كيف ان ائمة اهل البيت عليهم السلام ينعتون انفسهم بالفقر المطلق ويرون في الله وحده جل وعلا الغني المطلق، لذلك نجدهم عليهم السلام في مناجاة الحق تعالى قد وصلوا الى عمق معنى هذه الآية وصميمها التي يقول فيها الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [سورة فاطر: ١٥] لتكون نجواهم على هذا النحو: ((الهي انا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيراً في فقري))[١٧] يشير هذا التعبير الى اعمق درجات التوحيد والتسليم امام الخالق تعالى، والى اسمى وارفع درجات التوحيد والتسليم التي يمكن لها ان تصدر عن موحد لله تعالى، ومن الامثلة الواضحة ايضاً على هذا الاسلوب في الدعاء الصحيفة السجادية نجد هذه المناجاة للامام السجاد عليه السلام: ((يا كهفي حين تعييني المذاهب ويا مقيلي عثرتي، فلو لا سترك عورتي لكنت من المفضوحين، ويا مؤيدي بالنصر، فلو لا نصرك اياي لكنت من المغلوبين، و يا من وضعت له الملوك نير المذلة على اعناقها، فهم من سطواته خائفون، وا اهل التقوى، ويا من له الاسماء الحسنى))[١٨] كما تعتبر المناجات الخمسة عشر للامام السجاد عليه السلام من اعذب واشجى هذا النوع من الادعية.

اما فيما يخص المحور الثالث، فقلّما نجد دعاءً لا يتضمن مذمة النزعة الدنيوية والغفلة، واتباع الهوى والشيطان وما يخلفه من نتائج مدمرة وكارثية للمجتمع من جهة وللانسان من جهة اخرى. في النهاية يرى مراراً وتكراراً بناء على هذا المحور بان الذنوب والمعاصي قد اعتبر عاملاً لانحطاط الانسان، والحاجز الرئيسي امام تعاليه، والاس والاساس لتعاسته وشقائه في الدنيا، وعذابه الاكبر في الاخرة. بناء على هذا نجد الادعية تؤكد على مفاهيم من قبيل الذكر، والتوبة، والانابة، والاستغفار، وطلب العفو والمغفرة والرحمة، . وازالة اثار الذنوب المخزية التي اعتبرت السبب الرئيسي لسقوط الانسان وشقائه. وفي الاساس فان هذا المفاهيم قد

(١٧) الصحيفة الحسينية الكاملة، الدعاء ٢٣ (عرفه)، مفاتيح الجنان، دعاء عرفة.

(١٨) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء ٧.

نالت حيزاً كبيراً ولافتاً من هذه الادعية بصورة مناجاة وتضرع وابتهالات تؤكد جميعها على ضرورة تزكية النفس وتطهيرها والتربية والالتزام بالاخلاق.

لهذا المحـور من التجلي والظهور في الادعية المأثورة من الوضوح والشفافية ما يجعلنا نعزف عن الاطالة والاسترسال في ذلك، اذ ان الادعية المتضمنة للاستغفار، والاعتذار، وطلب المغفـرة، والتوسل الى الله والاستعاذة بـه من شر الشيطان والنفس الامـارة بالسوء هي اكثر من ان تحصى ومثال ذلك: ((استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم الرحمن الرحيم ذو الجلال والاكـرام))[١٩]، ((اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتم العصم اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء...))[٢٠] ودعاء كميل القدسي هو في الحقيقة المثال الابرز لهذا النوع من الادعية.

(١٩) مفاتيح الجنان، تعقيب صلاة العصر.
(٢٠) المصدر نفسه، دعاء كميل.

٢. النظر الى الدنيا كوسيلة:

من الرؤى التي اكد عليها ائمة اهل البيت عليهم السلام والتزموا بها هي رؤيتهم التي تعتبر الدنيا والحياة فيها اداة ووسيلة، ففي رؤيتهم هذه نجد في الدنيا مسيراً وممراً لا غاية وهدفاً، وهي فرصة للوصول الى الهدف الاساسي المتمثل بالقرب الالهي والحيـاة الاخـرويـة الخـالـدة. ان كمية الابحاث الضخمة التي تتضمنها الادعية حول الدنيا وخصائصها، والاخـرة من بدائع الجنة ومخازي جهنم واهوالها، انما تكشف عن رؤية اهل البيت عليهم السلام القدسية ونظرتهم الدنيوية للدنيا. هذه الرؤية تتمتع بمكانة هامة في منظومتهم الفكرية، اذ انها في بنية الفكر لديهم عليهم السلام تشكل قاعدة واساساً للعديد من المواضيع الاجتماعية والاخـلاقيـة فعلى سبيل المثـال نجد في الادعـيـة مواضيع كالعدالة، وفلسفة النبوة، والتقوي ومواضيع اخلاقية اخرى كالزهد، وعزة النفس، والانفة وغيرها من المواضيع التي تم بحثها استناداً الى هذه الرؤية. فالامام السجاد عليه السلام يطلب في احد الادعية من الله ان ينزع من قلبه حب

الدنيا كي لا يقع في محظور ما يترتب على ذلك الحب اذ يقول عليه السلام: ((وانزع من قلبي حب دنيا دنية تنهي عما عندك، وتصد عن ابتغاء الوسيلة اليك، وتذهل عن التقرب منك))[٢١].

٣. الرؤية الهدفية للانسان:

من الرؤى التي اكد عليها ائمة الاسلام عليهم السلام وذكروها كثيراً في ادعيتهم واحاديثهم كانت الرؤية الهدفية للانسان، فالانسان عندهم مخلوق يتمتع بقدرات مادية ومعنوية الهدف منها التوجه نحو هدف محدد وواضح، ولا مكان للعبيثة والحيرة في خلقه. يقول السجاد عليه السلام: ((وما زويت عني من متاع الدنيا الفانية فاذخره لي في خزانتك الباقية واجعل ما خولتني من حطامها، وعجلت لي من متاعها بلغة الى جوارك ووصلة الى قربك وذريعة الى جنتك))[٢٢]. كذلك يقول عليه السلام في دعاء مكارم الاخلاق: ((اللهم صل على محمد واله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ ايامي فيما خلقتني له)) هذا المقطع من الدعاء يعكس وبوضوح الهدفية في خلق الانسان. فأمير المؤمنين عليه السلام وهو في مقام الاعتراف، يطرح بعض النقاط الدالة بمجموعها على هدفية الانسان، اذ يقول: ((وان قدرك حق، وان رسلك حق، وان اوصياءك حق، وان رحمتك حق، وان جنتك حق وان نارك حق، وان قيامتك حق، وانك مميت الاحياء، وانك محيي الموتى، وانك باعث من في القبور، وانك جامع الناس ليوم لاريب فيه وانك لا تخلف الميعاد)). في دعاء اخر وفي مقام الاعتراف والاعتذار ايضاً اذ يقول عليه السلام: ((فتقويت بكرمك على معاصيك وتقويت برزقك على سخطك وافنيت عمري فيما لا تحب)). هذا الاعتذار من قبل الامام عليه السلام يشير الى النعم التي مَنْ بها الباري على الانسان، والتي لم تستخدم في المسار الصحيح في حين ان الهدف من حياة الانسان هو السعي في طاعة الله وراء الامور المتعالية السامية، لذلك نجد الامام السجاد عليه السلام يطلب التوفيق من الله تعالى في

(٢١) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء ٤٧. (دعاء عرفة).

(٢٢) ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة، الدعاء ٧٩.

امور تعتبر بمجموعها مصداقاً على طاعة الله تعالى ووسيلة للاقتراب من الهدف الاساس الذي يحيا من اجله اذ يقول عليه السلام: ((اللهم صل على محمد واله، ووفقنا في يومنا هذا وليلتنا هذه وفي جميع ايامنا لاستعمال الخير، وهجران الشر، وشكر النعم، واتباع السنن، ومجانبة البدع، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحياطة الاسلام، وانتقاص الباطل واذلاله، ونصرة الحق واعزازه، و ارشاد الضال، ومعاونة الضعيف، وادراك اللهيف))[٢٣].

هذه الرؤية تعتبر واحدة من الدعامتين اللتين تشكلان الاخلاق، فالاولى هي النظرة الوسائلية للدنيا، والثانية هي الرؤية الهدفية للانسان. فهم عليهم السلام وبناء على هاتين الحقيقتين اسسوا للاخلاق. وفي هذا الاطار يكفي ان نلقي نظرة واحدة على مجموعة الوصايا الاخلاقية للائمة عليهم السلام انرى ان هذه التوصيات والنصائح تعود في اسسها الى تلك الحقيقتين المذكورتين.

٤. الرؤية الاختبارية للحياة:

يرى ائمة الدين عليهم السلام ان الحياة مختبر يمتحن فيه الانسان للكشف عن حقيقته الوجودية. هذه الرؤية بحد ذاتها تشكل لبنة اساسية لبعض الافكار، والتصورات، اذ ان سنة الامتحان في تبدلات الحياة لها من المكانة ما يجعل العقاب والثواب الاخرويين معلولاً ونتيجة لسيرورة هذا الامتحان والتمحيص.

فأدعية اهل البيت عليهم السلام في هذا الاطار والمستندة احياناً بالاستناد الصريح الى القرآن الكريم، تعكس بوضوح اهمية هذه الرؤية وتأثيرها الكبير في تحليل المواضيع المختلفة من معرفية، واجتماعية، واخلاقية. اليكم بعض النماذج: ((... وخلق لهم النهار مبصراً ليبتغوا فيه من فضله، وليتسببوا الى رزقه، ويسرحوا في ارضه، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم، ودرك الاجل في اخراهم بكل ذلك يصلح شأنهم، ويبلو اخبارهم، وينظر كيف هم في اوقات طاعته، ومنازل فروضه، ومواقع احكامه، ليجزي الذين اساءوا بما عملوا، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى)). كذلك وفي الدعاء الاول من الصحيفة السجادية يقول الامام السجاد عليه السلام: ((والحمد لله

(٢٣) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء ٦.

الذي ركب فينا الات البسط، وجعل لنا ادوات القبض، ومتعنا بارواح الحياة و اثبت فينا جوارح الاعمال، وغذانا بطيبات الرزق، واغنانا بفضله، واقنانا بمنه. ثم امرنا ليختبر طاعتنا، ونهانا ليبتلي شكرنا)).

تشير هذا الاقوال بشفافية ووضوح الى كنه واساس سنة الاختبار والامتحان الالهي في رؤيتهم عليهم السلام ازاء الحياة وتقلباتها السلبية والايجابية، هي الحقيقة التي اكدها القرآن الكريم مراراً وتكراراً، تقول الاية الكريمة: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[سورة الانبياء: ٣٥]. وكذلك الاية الاخرى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[سورة الانفال: ٢٨] (٢٤). والاية ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سورة الملك: ٢] وايات كثيرة اخرى (٢٥).

ثم ان ما ذكر حتى الان كان بعضاً من الرؤى الجوهرية للافكار القدسية لتلك الشخصيات الزكية الطاهرة، والتي تعتبر الحجر الاساس للكثير من افكارهم ومعتقداتهم عليهم السلام، فهم في الحقيقية ينظرون الى الكون، والانسان والحياة وقفاً لهذه الرؤى وما تحليلاتهم، ونصائحهم الاجتماعية والاخلاقية الارشحات الملكوتية من هذه الرؤى الملكوتية.

ثانياً: بيان المعارف الدينية:

المحور الثاني هو بيان المعارف الدينية وبحثها في الادعية بدءاً من التوحيد، والنبوة والمعاد، وانتهاء بالاوامر الاخلاقية والاحكام الشرعية، الا ان لذلك من حيث الاسلوب انواعاً مختلفة نشير لاحقاً الى نوعين منها:

أ. **بيان الحقائق الدينية وتفسيرها.**

ب. **تقديم عرض تحليلي للقضايا الدينية.**

أ. البيان والتفسير في هذا النوع من الاساليب وسنكتفي بموضعين، احدهما اعتقادي، والاخر اخلاقي، وهي عبارة عن التوحيد، وعزة النفس.

(٢٤) [سورة التغابن: ١٥].
(٢٥) [سورة الكهف: ٧]، [سورة البقرة: ١٥٥]، [سورة ال عمران: ١٥٤]، و...

التوحيد:

تعتبر قضية التوحيد من القضايا الجوهرية في العقائد الاسلامية ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٣] ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[سورة المائدة: ٧٣] ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الانعام: ١٩] ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[سورة النساء: ١٧١] ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [سورة النحل: ٥١]، وعشرات الايات الاخرى التي تدل وتؤكد على وحدانية الخالق تعالى ونفي الشريك عنه. من جهة أخرى فان التلقي العام فيما يتعلق بمسألة وحدة الذات الالهية هو تلق عددي، اي ان عامة الناس وبعض المتكلمين في الماضي كانوا يتصورون عند القول ((الله واحد)) انه ليس باثنين ولا بثلاثة، الا ان الائمة عليهم السلام يرفضون في ادعيتهم مثل هذه الاقوال والتصورات وهاكم الامثلة على ذلك:

((فانت الاحد الابد))[٢٦] ((واحد لا بعدد)) ((سبحان الله الواحد الحق الاحد))[٢٧] ((الاحد لا بتأويل عدد)) ((لايتبعض بتجزءه العدد في كماله))[٢٨] ((الذي كان في اوليته متقادما وفي ديموميته متسيطراً خضع الخلائق لوحدانيته وربوبيته وقديم ازليته، ودانوا لدوام ابديته))[٢٩] ((ليس له حد في مكان))[٣٠] ((انت الذي لا تحد فتكون محدوداً ولم تمثل فتكون موجوداً ولم تلد فتكون مولوداً انت الذي لا ضد معك فيعاندك ولا عدل لك فيكاثرك ولا ند لك فيعارضك))[٣١] ((... قاهر الخلق

(٢٦) ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة العلوية الجامعة، الدعاء ٥، ص٢٩.

(٢٧) ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة الحسينية الجامعة، الدعاء٢٣(عرفه)، ص١٣٤.

(٢٨) ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة العلوية الجامعة، الدعاء٩، ص٥٨.

(٢٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٨٩، بحار الانوار، ج٥٤، ص١٦٠، ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة العلوية الجامعة، الدعاء٩، ص٤٨.

(٣٠) الصحيفة السجادية الجامعة، الدعاء ٢، ص٢١.

(٣١) الصحيفة السجادية الجامعة، الدعاء ١٤٧،

بغير عدد لكن الله الاحد الفرد الصمد، الـذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احـد))[٣٢] [٣٣] فالامام في هذه الادعية ينفي تصور الوحدة العددية للذات الالهية ويقدم في المقابل نوعاً اخر من الوحدة اطلق عليها الفلاسفة فيما بعد ((البساطة المحضة))، او ((الوحدة الحقيقية الحقة)) اللامحدودة، واللامتمثلة، ليس لها صورة ولاتتبدي من شيء، ولا ضد لها، ولا مثل، ولاعدل، لان كل ذلك سوف يخل ببساطتها ويستوجب امتلاكها للماهية، او تكثر الذات، او التركيب. فمن حيث ان الوحدة العددية هي نتيجة لعروض حد على الشيء، اي انه وما لم يكن هنا م حد قد عرض للشيء وحدده، فان ذلك الشيء لن يقبل الدخول في العدد ليكون بذلك معروضاً للعدد ومحدوداً به، وفي النتيجة فان الوحدة غير العددية او الوحدة الحقة ستكون وحـدة متحققة بانتفاء الحـد، وعليه فان هذا النـوع من الوحدة لن يكون قابلاً للتكثر والاثنينية، وان معنى صفة الاحدية هو عدم التجزؤ باي وجه من الوجوه لا في الذهن ولا في خارجه. اذا فهوﷺ يشير من خلال الوحدة غير العددية الى اصل هام وقيم هو ان الذات الالهية والالهيات ما يضاهي مسألة غني الـذات التي تشكل اصل الوجوب، اي وجـوب الـوجـود، الامـر الـذي اتى على ذكره الائمةﷺ في ادعيتهم مرات عديدة.

عزة النفس:

ان من اهم الصفات البارزة الحميدة لـدى الانـسـان المؤمـن التي اكـد عليها القرآن الكريم، عزة النفس والاباء واظهار الاستغناء عن الخلق، ولهذه الخصلة دور هام ف الحفاظ عن كرامة الفرد واحترام

ص٣١٨، الصحيفة الكاملة السجادية، الدعاء ٤٧ (عرفه).

(٣٢) اخلاص، ٤ -١. لقد تكرر اقتباس سورة الاخلاص في ادعية الامام عليﷺ ز. ك: ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة العلوية الجامعة، الدعاء١، ص٢٠، ٢٣، الدعاء ٣٠، ص٩٢، الـدعـاء ١٦٢، ص٢٧٧، الدعاء ١٦٥، ص٢٨١، الدعاء ٢١٢، ص٣٤٢، الدعاء ٢١٥، ص٣٥١، الدعاء ٢٣٠، ص٤١١.

(٣٣) ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة العلوية الجـامـعـة، الـدعـاء١ص١٩ -٢٠، ابن طـاووس، علي بن موسى، نهج الدعوات ص١٤٤.

جوهره الانساني، ولها تأثير كبير وعميق في حياته وسلوكه، وعلاقاته.

عزة النفس، سلوك ايجابي يبعث أولاً على السلامة الروحية -النفسية للانسان لانه ينحني امام الاخرين، ويتعامل باسلوب منطقي عقلاني يمنعه من اذلال نفسه واهانتها، وثانياً فان هذا السلوك سيخلق علاقة سليمة ومنطقية تقوم على الاحترام المتبادل بينه وبين الاخرين. فالانسان الذي يتمتع من الخصال بعزة النفس لايمكن ان يطغى حين يكون غنياً وصاحب سطوة وسلطة، ولايهين الضعفاء وينقض عليهم، ولاينسى الاقارب، والمحتاجين، ولايسرف في حلاله من المأكل والمشرب وغير ذلك وباختصار لاينسى عبوديته امام الخالق ولا انسانيته، ويغترب عن ذاته، كذلك فالشخص ذاك لا يتملق في زمن الفقر والحاجة ولايكون مطواعاً وهشاً امام الاخرين ومعظماً لهم. فلا يتنابه الاحساس بالذل امام الاغنياء ولا يفرط بكرامته او يريق ماء وجهه من اجل قطعة خبز، ولايرخي زمام رغباته لتقوده الى الذل والمسكنة. ففي الديوان المنسوب الى الامام علي عليه السلام هناك شعر يقول بها معناه ((ان نقل الصخور الضخمة من قمة جبل الى قمة جبل اخر احب اليَّ ان يَمُن عليَّ الناس، ولقد ذقت مرارة كل شيء فلم اجد شيئاً اشد مرارة من السؤال)). وكما يقول ناصر خسرو:

بسي به زان كه خواهم نان زدونان

به آبروي، اكر بي نان بمانم

((ان احافظ على كرامتي وابقى دون خبز افضل عندي من سؤال ذوي النفوس الوضيعة)).

من اهم الوسائل لتقوية عزة النفس وتعزيزها حسب رؤية اهل البيت عليهم السلام، الدعاء الى الله تعالى، لان الانسان اذا بقي واثقاً بلطف ربه ومتوكلاً عليه، ومعتقداً بكل الصدق لان الله ((فعال لما يشاء))، فانه لن يتوجه الى غير الله لسد الحاجة وسيرى الناس ما هم سوى وسائط لسد الحاجة وان الله تعالى وحده كاشف الضر وقاضي الحاجات ومقيل العثرات. فالانسان يتضرع الى الله تعالى ابتداء، ومن ثم يتوجه الى الخلق والانسان في الدعاء

((يقيم ارتباطاً مع مبدأ الكون اللامنتهي، ولذلك يقف ويواجه اي نوع من المشاكل وبقدرة روحية ومعنوية جديدة يجد نفسه فوق كل الحاجات والمتطلبات))[٣٤] ليجد نفسه دفعة واحدة امام كل خزائن الكون المادية والمعنوية ويعثر على نبع الخيرات ومعدن البركات الوحيد.

الادعية المأثورة تثير لدى الانسان مزيجاً من التواضع وعزة النفس، ورغم ان الفقر والحاجة يكتنفان نواحي وجوده، يقف امام الله غير معلن عن فاقة[٣٥] لانه يجد نفسه في تلك اللحظة كقطرة في محيط عميق لامتناه وانئذ يتوحد مع عظمة الخالق فيستغني عن كل ما هو مخلوق فتكون الدنيا في عينه عندها في غاية الصغر والصغار[٣٦]. هاهو الامام الحسين عليه السلام منار العزة وسيد الاحرار يأتي لنا بمعاني النور لينطق بها بلسان الحوار في دعاء العرفان والمعرفة، دعاء عرفة وكأني بروحه تعرج كطائر الملكوت الى ما وراء الاوج حين يقول عليه السلام: ((ما ذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك)) فمن وجدك يملك كل شيء، السعادة، والعزة، والعظمة، والدنيا والاخرة، ومن لم يجد طريقاً ويزعم وجود طريق اخر لسد حاجاته لا يملك شيئاً، لا سعادة، ولاعزة، ولاشرفاً، ولاكرامة الانسانية، ولاثروة، ولاالدنيا ولا الاخرة، بل عدمية وعبثية هو غافل عنها ايضاً. ويقول عليه السلام: ((كيف اهان وعليك متكلي))، ((كيف لااستعز واليك نسبتني))، ((كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني وانت الذي لا اله غيرك)) هذه الجمل العرشية القدوسية تنمي روح الانسان وجوهره الوجودي وتصبغه بصبغة العزة والكبرياء بصورة تجعله لا يرى شيء سوى الله سبحانه وتعالى ولن يتجه لكشف الضر الا اليه.

يشير الامام علي عليه السلام في اول دعاء ((كميل)) الى صفات الله تعالى، التدبر فيها امر بديهي، وهو الغني على الاطلاق، الواهب للماضين والاتين، المتربع فوق كل

(٣٤) ممدوحي، حسن، شهود وشناخت، ج١، ص٢٠.
(٣٥) رباني، محمد تقي، آشناييبا دعا ومتون ادعية، ص٦٩.
(٣٦) مصطفوي، سيد جواد، هشت مقاله، ص٢٠٩.

قدرة وعظمة والرازق لكل مخلوق من الانسان والحيوان، اذ يقول عليه السلام: ((اللهم اني اسالك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء، وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء، وبعظمتك التي ملأت كل شيء، وبسلطانك الذي علا كل شيء...)).

٢. وصف المواضيع الدينية وتبيينها:

الجزء الاخر من ادعية اهل البيت عليهم السلام يتعلق بالوصف القرآني للمواضيع الدينية، كموضوع النفاق والمنافقين، ووصف المتقين، والملائكة، والجنة والجحيم وغير ذلك من المواضيع.

هذا الجزء من الادعية يأتي على ذكر مجموعة من الاوصاف والخصائص التي يطرحها القرآن ازاء فريق من الناس او ازاء موضوع خاص ومحدد، ولكن ليس على سبيل التقليد والتكرار، بل هو نوع من التدريس والدراسة. ولذلك فان دائرة الاوصاف والنعوت في هذه الادعية تتسع لي ما هو اعمق واوسع مما جاء في ظاهر الآي القرآني. وهنا نتوقف عند نموذج من هذه الادعية، فالدعاء الثاني في الصحيفة السجادية يصف الملائكة والاعمال الموكولة اليهم من قبل بارئهم من ذلك استناداً الى ما جاء في القرآن الكريم. يقول الامام السجاد عليه السلام: ((اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك، ولايسأمون من تقديسك، ولا يستحسرون من عبادتك، ولايؤثرون التقصير على الجد في امرك ولا يغفلون عن الوله اليك)). فاذا ما اردنا مقاسية ما جاء في هذا الدعاء من الاوصاف مع تذكره الايات القرآنية، فسوف نجد ان الكثير منها ذات منشأ قرآني واليكم بعض الآيات المتضمنة لهذه الاوصاف ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[سورة الرعد: ١٣] ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[سورة الزمر: ٧٥] ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [سورة غافر: ٧] ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ

﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الشورى: ٥] ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سورة الانبياء: ٢٠] ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [سورة الانبياء: ١٩]. وثمة ايات اخرى بهذه المضامين.

وفي نموذج اخر، نجد ان الائمة المعصومين عليهم السلام قد تناولوا من خلال الدعاء موضوع الذنوب والمعاصي وتحدثوا كثيراً في هذا الشأن، فاحياناً نجدهم يحذرون من السقوط في دائرة الذنوب، واحياناً نجدهم يتحدثون النتائج والتبعات المدمرة لهذه الذنوب التي تضيق وتحبس النعم في الدنيا، وتقود الى جهنم في الاخرة، واحياناً نجدهم تصفون المذنبين. وفي جزء الثاني الذي يتمتع باسلوب الاخبار ويروي وقائع عن الذنوب والمذنبين، وينقسم الى تصنيفات ثلاثة هي:

١. الاثار النفسية المترتبة على الذنب وتبعاته السلوكيه.
٢. دور الذنب في تدمير الحياة المادية.
٣. دور الذنب في الشقاء الاخروي.

فعلى سبيل المثال وعندما يقول السجاد عليه السلام: ((قد ملك الشيطان عناني في سوء الظن وضعف اليقين))، او عندما يقول عليه السلام: ((الهي البسْتني الخطايا ثوب مذلتي وجَلِّلني التباعد منك لباس مسكنتي وامات قلبي عظيم جنايتي))[٣٧] او عندما يقول: ((وهب لي التطهير من دنس العصيان، واذهب عني درن الخطايا، وسربلني بسربال عافيتك))[٣٨]. فانه يشير الى تأثير الذنوب على روح الانسان ونفسه. وعندما يقول: ((هذا مقام من تداولته ايدي الذنوب، وقادته أزِمَّةُ الخطايا، واستحوذ عليه الشيطان، فقصر عما امرت به تفريطاً، وتعاطي ما نهيت عنه تغريراً))[٣٩]، فانه يشير الى تأثير الذنوب على سلوك الانساني. وعندما يقول: ((اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم

(٣٧) مفاتيح الجنان، مناجات التائبين.
(٣٨) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء ٤٧ (عرفه).
(٣٩) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء ٣١.

اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء))[٤٠]، فانه يشير الى اثر الذنوب المدمر ودورها في قضاء على حياة الدنيوية والمادية. واخيراً عندما يقول: ((فان تعذبني فبذنوبي يا مولاي بعد حجتك علي وان تعف عني فبحلمك وجودك وكرمك...))[٤١] ((فيا سوأتا مما احصاه علي كتابك فلولا المواقف التي اؤمل من عفوك الذي شمل كل شيء لالقيت بيدي، ولو ان احداً استطاع الهرب من ربه لكنت انا احق بالهرب منك، وانت لا تخفي عليك خافية في الارض ولا في السماء الا اتيت بها، وكفي بك جازياً، وكفي بك حسيباً)[٤٢]، ومئات الامثلة الاخرى التي تتحدث على الاثار الاخروية المترتبة على الذنوب.

كما نجد في بعض الادعية جملاً تدل على هذا المضمون مثل: ((... من ذنوب ادبرت لذاتها، واقامت تبعاتها فلزمت))[٤٣] يا ((ولاتحبط حسناتي بما يشوبها من معصيتك))[٤٤] هذه الجمل العذبة تدل فيما تدل على الاثار المخزية للاثم والخطيئة. واذا ما بحثنا ايضاً عن مقايسة تطبيقية لهذه المقتطفات من الادعية مع الايات القرآنية فسنجد ان بعضها وبكل وضوح قد استقي من معينه الزلال، وبعضها الاخر نهل من ذاك المعين روحاً ومعنى: وهذه الايات مثالاً على ذلك: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى: ٣٠] ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الروم: ٤١] ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [سورة النحل: ١١٢] ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ

(٤٠) القمي، شيخ عباس، مفاتيح الجنان، دعاء كميل.
(٤١) القمي، شيخ عباس، مفاتيح الجنان، دعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام.
(٤٢) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء٥٠.
(٤٣) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء٣١.
(٤٤) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء٤٧(عرفه).

﴿ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[سورة الروم: ١٠] ﴿ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[سورة النساء: ٦٢] ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [سورة الانعام: ٤٤] ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[سورة الاعراف: ٨٤] ﴿ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ [سورة يونس: ٧٣] ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [سورة النمل: ٥١] ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾[سورة غافر: ٢١] ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[سورة العنكبوت: ٤٠] ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[سورة الزخرف: ٢٥] ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة محمد: ١٠] ﴿ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرٗا ﴾[سورة الطلاق: ٩] ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة الانعام: ٨٨].

يمكن لهذه الايات ان تكون ممهداً للصفات المذكورة حول الدعاء وعواقبه النفسية، والدنيوية، والاخروية في ادعية اهل البيت عليهم السلام، وما يذكر حول ان مجموع ما جاء في ادعية الائمة عليهم السلام في هذا المجال يتعلق بظاهر الايات التي لم تأت على الذكر الذنوب والمذنبين، لكن في الحقيقة هذا ظاهر الامر فقط؛ فاذا ما امعنا النظر في رؤيتهم الى الذنب، فسوف نرى حقاً ان جميع ما ذكروا من الاوصاف المتعلقة بالذنب منشأ قرآني.

الكلام بمبتغاه هو: ان رؤية ائمة اهل البيت عليهم السلام لا تعتبر الذنب محض حالة روحية منفصلة عن الواقع والسلوك

الانساني، بل هي حالة تنعكس في تجليات واقعية متنوعة، فالغفلة وعدم الاكتراث للاوامر الدينية، وعدم خشية من الله تعالى، وعدول عن التوبة، والعمل السيء ومحورية الدنيا، واطلاق العنان للسان في سيئات القول، ونكران الفضل ونسيان الشكر وتسخير القدرات والنعم الالهية في غير محلها، وبعيداً عن الاطالة فان ما ذكر في القرآن من مصاديق للعصيان والادبار عن الله تعالى يشكل تجليات للمعاصي والذنوب، ومظاهر واقعية وعينية ملموسة لها، كذلك فالنماذج والامثلة المذكورة تعكس بوضوح رؤيتهم عليهم السلام ازاء امتداد اثار الذنب. هذه النظرة الى الذنب ستكون نتيجتها ان جميع الاوصاف والاحكام المذكورة حول الانسان الشقي وحول التمرد على الله والعصيان لاوامره بكافة الاشكال، يعتبر وصفاً للذنب والمذنبين، وفي المقابل فان جميع الاوصاف والاحكام المذكورة في القرآن حول الانسان المثالي وما تقتضيه العبودية بكل اشكالها وتجلياتها، هي في الوقت ذاته اوصاف للتقوى والمتقين، وامن نالوا القرب الالهي.

النتيجة:

يشكل ما جاء في البحث صورة مختزلة تؤيد القائل بان الادعية الموروثة عن الرسول صلى الله عليه وآله وائمة اهل البيت عليهم السلام هي استلهام واستيحاء من القرآن الحكيم، وبيان قدسي لاهوتي آخر لنفس الافكار والمفاهيم المذكورة في القرآن، وبعبارة اخرى هي رجع صدى وطنين اثيري ملكوتي للمعارف القرآن الالهية والتي تم التعريج عليها بصورة مجملة من خلال ايراد بعض النماذج والامثلة، وتحليل البعض من اساليب الدخول في تلك المواضيع والقضايا. نتمنى ان يكون هذا البحث مبعث الهام للباحثين في مجال المعارف القرآنية والاسلامية ليتمكنوا من خلال الغوص في البحور اللامتناهية للادعية المأثورة من استخراج جواهر المعان الفردوسية. وكما جاء في الشعر المنسوب الى الامام الصادق عليه السلام:

نحن البحور التي فيها لغائصكم

در ثمين وياقوت ومرجان

أهم المصـــــــــــادر:

القرآن الكريم.

١. نهج البلاغة.

٢. الصحيفة السجادية الكاملة.

٣. ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة الحسنية الجامعة قم، مؤسسة الامام المهدي، اول، ١٤٢١هـ -١٣٧٩ش.

٤. الصحيفة الرضوية الجامعة قم، مؤسسة الامام المهدي، اول، ١٤٢٠هـ-١٣٧٨ش.

٥. ابطحي، سيد محمد باقر، الصحيفة السجادية الجامعة قم، مؤسسة الامام المهدي، جهارم، ١٤١٨هـ.

٦. الصحيفة العلوية الجامعة قم، مؤسسة الامام المهدي، اول، ١٤١٨هـ-١٣٧٧ش.

٧. الصحيفة الفاطمية الجامعة قم، مؤسسة الامام المهدي، اول، ١٤٢١هـ-١٣٧٩ش.

٨. الصحيفة الكاظمية الجامعة قم، مؤسسة الامام المهدي، اول، ١٤٢١هـ-١٣٧٩ش.

٩. ابن طاووس، علي بن موسى، الدروع الواقية، قم، مؤسسة آل البيت، اول، ١٤١٤هـ.

١٠. ابن طاووس، علي بن موسى، اقبال الاعمال، تحقيق جواد قيومي، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، اول، ١٤١٤هـ.

١١. ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٢. امام خميني، سيد روح الله، تفسير دعاي سحر، تهران، نهضت زنان مسلمان، اول، ١٣٥٩ش.

١٣. امام خميني، سيدروحالله، تفسير سورة حمد، تهران، مؤسسة نشر اثار امام، سوم، ١٣٧٦.

١٤. امام خميني، سيدروح الله، وصيت نامه الهي سياسي امام خميني، مشهد، كتابخانه مركزي استان قدس، ١٣٦٩ش.

١٥. بايكاه اطلاع رساني دفتر مقام معظم رهبري، آرشيو بيانات.

١٦. حسن زاده آملي، حسن، رساله نور علي نور، ضميمه، مفتاح الفلاح، تهران، انتشارات حكمت، ششم، ١٣٨٤ش.
١٧. حسيني جلالي، سيدمحمدرضا، جهاد الامام السجاد، قم، دارالحديث، اول، ١٤١٨هـ.
١٨. حكيمي، محمدرضا، حماسه غدير، تهران، دفتر نشرفوهنك اسلامي، ١٣٦٦.
١٩. رباني، محمد تقي، آشناييبادعا ومتون ادعيه، قم، نشر سنابل، اول، ١٣٨٤ش. ١.
٢٠. طوسي، محمد بن حسن، مصباح المتهجد، بيروت، مؤسسة البعثة، اول، ١٤١١هـ.
٢١. قبانجي، سيد صدر الدين، في رحاب دعاء ابي حمزة الثمالي، بي جا، انتشارات دليلنا، اول، ١٤٢٦هـ.
٢٢. قمي، شيخ عباس، مفاتيح الجنان، تهران، نشر شهريور، ١٣٧٩ش.
٢٣. قيومي، جواد، ادعية الامام زين العابدين، قم، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، اول، ١٤١٩هـ.
٢٤. كفعمي، ابراهيم بن علي، البلد الامين، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، اول، ١٤١٨هـ.
٢٥. كفعمي، ابراهيم بن علي، المصباح في الادعية والصلوات، تهران، ١٣٤٩هـ.
٢٦. كليني، محمد بن يعقوب، تصحيح علي اكبر غفاري، تهران، دار الكتب الاسلامية، جهارم، ١٣٦٥ش.
٢٧. مجلسي، محمدباقر، بحارالانوارلدرر اخبار الائمة الاطهار، بيروت مؤسسة الوفاء، دوم، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣.
٢٨. مدرسي، محمدتقي، الدعاء معراج الروح ومنهاج الحياة، بي جا، المركز الثقافي الاسلامي، اول، ١٤٠٥هـ.
٢٩. مصطفوي، سيد جواد، هشت مقاله، مشهد، انتشارات دانشكاه فردوسي، اول، ١٣٧٣.